العقاب المدرسي وطفل المدرسة الابتدائية، دراسة ميدانية

د.كربوش عبد الحميد د.بوسنة عبد الوافي زهير
قسم علم النفس– جامعة قسنطينة قسم علم النفس– جامعة بسكرة

مقدمة:

تعد الطفولة إحدى المراحل النمائية المهمة، إذ تناولها الباحثون من زوايا مختلفة وأشادوا بدورها في تكوين الشخصية، حيث أنها الحجر الأساس لإعداد إفراد أسوياء مهيئون لمختلف المكانات الاجتماعية، لكن ورغم ذلك مازالت فئة الأطفال تعاني، إذ نجدها تستغل هنا وتقهر هناك، كما تعاقب وتحرم في جهة أخرى وبطرق ووسائل بشعة.

لقد تحدث التحليل النفسي على مراحل النمو وأشار إلى مرحلة الكمون التي تتزامن مع الدخول المدرسي، أين يجد الطفل نفسه في خلية أخرى أو قناة أخرى تعتبر من قنوات التنشئة الاجتماعية ألا وهي المدرسة، ولعل من أهم الصعوبات التي يواجهها الطفل في هذه المرحلة تتمثل في العقاب المدرسي بشتى مظاهره.

لقد جاءت هذه الدراسة الميدانية لتطلع على الواقع التربوي، وكيف يتم التعامل مع الأطفال التلاميذ من قبل المعلمين. إذ اهتمت بمظهر من مظاهر العنف ضد الأطفال وهو فعل الضرب والعقاب المدرسي.

1– لمحة تاريخية عن العقاب:

العقاب ظاهرة عرفت مند أن عرف الإنسان وتطورت عبر العصور. حيث أن الأطفال هم الأكثر عرضة، خاصة أنهم في مرحلة النمو والتعلم وعليهم الخضوع للنظم والقوانين الاجتماعية، كي ينشئوا على الأعراف والتقاليد السائدة.

لقد كانت الوسيلة للوصول بالطفل إلى هذا الهدف، هي التنشئة الاجتماعية والتربية التي كثيرا ما تعتمد على العقاب كأداة لترسيخ وتثبيت القوانين.لهذا ذهبت بعض الثقافات إلى القول: " اضرب الطفل ولا تخشى، فمن الضرب لا يموت " (غوردين.ل 1994 ص 13)

ولم يكن بالإمكان التحدث عن العقاب المدرسي حتى القرن الثامن عشر، إذ كانت وفيات الأطفال كبيرة جدا نتيجة عدة عوامل منها: العقاب ووصول نسبة التخلي عن الأطفال حتى نهاية القرن التاسع عشر)(Strauss.p 1990 p 30إلى درجة كبيرة جدا

من جانب آخر كانت الطاعة العمياء هي الهدف الأساسي للمؤسسات التربوية في القرون الوسطى، حيث كان العقاب أهم وسيلة لتمرير العملية التربوية، بالتالي تبلورت فكرة العصا. ثم تبدلت وأصبحت بواسطة السوط وتطورت لتأخذ أشكالا أخرى وفق ما تقتضيه التطورات التي تشهدها المجتمعات. وقد ساد نقاش حول العقاب كأسلوب تربوي بين بيراغوف.ن.ي الذي دافع على ضرورة الالتزام المشدد والصارم بالعقاب الجسدي واستخدامه في حالات خاصة، وبين دوبرولي نوف الذي سخر وبغضب من محاولة إدخال الضرر إلى الآداب التربوية.(غوردين 1994 ص 16)

من ثمة انتشرت أفكار تسمى بالثواب والعقاب، وكان أول من طرحها المفكر الفرنسي " جون جاك روسو " الذي طرح أفكاره التربوية الحرة التي كانت بالنسبة لزمنه جريئة وثورية. غير أن أنصاره حاولوا تجريد بعض هذه الأفكار وتحويلها إلى وصفات تربوية عالمية.

في الربع الأخير من هذا القرن، أعطت الأعمال الإكلينيكية والنفسية البحوث الاجتماعية بعدا جديدا ألا وهو " طب الأطفال الاجتماعي "، وقد برزت أهمية ظاهرة العقاب مند قيام الأخصائيين الأمريكيين في الأشعة بنشر مقال يظهر خصائص الكسور عند الأطفال الصغار الذين تعرضوا للقسوة والعقاب.لكنه لم يقدم حجم الظاهرة التي يتعرض لها الأطفال.

2- مفاهيم العقاب:

2-1 لغة: كلمة العقاب مأخوذة من عاقب بمعنى ضرب، عاقبه معاقبة، جاء يعقبه، وتعاقب القوم في الشيء بمعنى تداولوه وتناولوه. كما يعني الإنذار والتهديد والإرشاد والاحتجاج.كما يعني الجزاء المادي والمعنوي الذي يستحقه الفرد مقابل القيام بفعل ما.(الباقي.م.ع 2001 ص 50)

2-2 اصطلاحا: هو الألم الذي يتبع أي عمل من الأعمال التي تكون غير مهذبة، لذا وجب العقاب لتأديب المذنب وتهذيبه. لكن ما يجب قوله هو أن العقاب ذاته قد يكون أسلوبا ناجحا دون اللجوء إلى إيلام الشخص أو إلحاق الضرر به.

2-3 العقاب في علم النفس: يرى نوربير سيلامي أنه على المربين تجنب العقوبات الصدمية تلك التي تقلل من شأن الطفل أو تخلق قلق لديه.

فالعقاب لا بد أن يكون مناسب لكل حالة، صحيح، فوري، مقدم على أنه النتيجة الحتمية لفعل قام به الطفل وهو مسؤول عنه. (Sillamy.n 1991 p216)

وهناك من يعرف العقاب على أنه خبرة شعورية مؤلمة لها أثر ايجابي في إصلاح الشخصية. فالإنسان يميل إلى تكرار السلوك الذي يرتبط بخبرات سارة.

هذا التعريف ينظر إلى العقاب على أنه وسيلة تربوية ايجابية تساهم في إعداد الفرد وإصلاحه للحياة الاجتماعية، وبذلك لا يكرر السلوك الخاطئ ويصبح إنسانا سويا. غير أنه لم يجسد لنا الطرق والأساليب التي تساعد في إصلاح شخصية الفرد المعاقب.

والعقاب وسيلة يستخدمها المعلمون اتجاه تلاميذهم عند ارتكابهم خطأ عند قيامهم بسلوك مخالف للنظام، قصد إصلاحهم أو الحد من سلوكهم الغير مرغوب فيه. و حسب مختار عضاضة العقاب المدرسي وسيلة زجرية لتحسين حالة التلميذ وليس الانتقام منه. انه وسيلة تمس كيانه وكرامته لردعه عن المضي في الطريق السيئ والرجوع به إلى الطريق المستقر.(عضاضة.أ.م 1996 ص 13)

2-4 العقاب في علم الاجتماع: هو إيلام الشخص جسميا أو عقليا لإصلاحه أو ردع غيره من ارتكاب ما أرتكبه من الخطأ. والغرض من العقاب إيجاد صلة بين السلوك وألم العقاب حتى نصلح ما لدى الأطفال من ميول سيئة، ونعدهم إعدادا حسنا ونربيهم تربية صحيحة.(الأبراشي.م.ع 1996 ص 206)

3- المقاربات النظرية المفسرة للعقاب:

3-1 المقاربة القانونية: تضم عدة نظريات تنطوي كلها تحت عنوان واحد وهو النظرية القانونية للعقاب:

3-1-1 النظرية الجزائية:التي تستند على مبادئ العدالة الاجتماعية والإنصاف، حيث هنالك نوعان من الجزاء:

الأول: جزاء القوانين الاجتماعية، والذي يحدد حقوق الأفراد في المجتمع وواجباتهم. حيث أنهم إذا خالفوا هذه القوانين فان السلطات التنفيذية تفرض عليهم العقوبة المستحقة، كذلك المجتمع الصغير أي المدرسة.

الثاني: جزاء القوانين الطبيعية، الذي يري أن الذي يجب أن يقوم بتربية الطفل ورعايته هو عامل الطبيعة، والعقاب يؤدي إلى قلة نمو الطفل وظهور عقد نفسية حسب جون جاك روسو.

وقد تكلم دركايم اميل على " الضمير الجمعي" الذي يتكون أساسا من مجموعة من العواطف والمعتقدات المشتركة بين أعضاء المجتمع.

ويؤكد على فاعلية الضمير الجمعي في التحكم في سلوك الإنسان. فالفرد ليس حرا في تكوين شخصيته، بالتالي فالمجتمع هو الذي يحدد معالم الشخصية.(ليلة.ع 1991 ص 282)

3-1-2 النظرية الانتقامية: يري بعض العلماء أن الانتقام تعبير عن روح التأسف التي كانت تسود العلاقات البشرية في عصور الظلم. فإذا أنزل المربي عقوبة على التلميذ ظهرت عليه علامات الانتقام وملامح الغضب، فأضاع بذلك هيبته أمام تلاميذه.

3-1-3 النظرية الردعية: ترتكز هذه المقاربة على الرهبة التي تصل إلى تأديب الجماعة. ومن هنا نشأت فكرة تشهير المعاقب ليكون عبرة للآخرين. ويجب أن تكون العقوبة قاسية وسريعة وعلنية بقدر الإمكان.

إذا أسقطنا هذه النظرية على الواقع المدرسي، فإننا نجدها تؤيد عملية تشهير التلميذ المذنب وتأنيبه بطرق غير تربوية وعلمية على مرأى من زملائه. فالعقاب بهذه الطريقة ليس بعلاج سوى لسلوك التلميذ، وفي المقابل يزيد في تفاقم المشكلات السلوكية.

3-1-4 النظرية الإصلاحية: ترى أن المذنب الذي يميل إلى السير في الطريق هو مصاب بمرض اجتماعي يجب معالجته، فيترتب عن على المربين أن يعملوا على إصلاحه.

إن المربي اليوم إذا اضطر إلى إنزال العقوبة بالتلميذ، كان الغرض منها لا التشفي والجزاء بل الإصلاح وهدايته إلى طريق الصواب. فالعقاب لم يوضع ليكون وسيلة للقصاص بل وضع لحماية المجتمع ووقاية الضرر. فإذا كان الضرر لا يزول بمن يعبث بالنظام في الفصل، فانه من الجائز أن تستعمل القوة ويعتبر العزل عقابا.

3-1-5 النظريـة الوقائيـة: تنـادي هذه المقاربـة بوقايـة المذنب والمحافظـة عليـه قبـل أن يرتكب أخطاء. ويمكن تلخيص مبادئها في النقاط التالية:

- الابتعاد عن فكرة القصاص والانتقام عند استخدام العقاب.- العقاب وسيلة لهدف أسمى، فإذا وقف طفل من الأطفال عقبة في سبيل غيره أو سبب ضيقا لباقي الفصل، فانه يحجز جانبا. فوظيفة العقاب هنا تتمثل في الحد من الضرر الذي قد يتسبب فيه التلميذ المخالف للنظام المدرسي.

3-2 المقاربة النفسية:

3-2-1 نظرية التحليل النفسي:

يري فرويد أن العقاب وسيلة مساعدة الطفل وحمايته من خطر رغباته ودوافعه الداخلية، التي تتسبب في سوء تكيفه. وحتى يكون العقاب فعالا لا بد من اختيار العقوبة المناسبة لكل سلوك، ومعرفة الأسباب الحقيقية التي أدت إلى هذا السلوك.

كما ينوه إلى الانتباه خلال القيام بالعملية العقابية، حيث إن المعلم في وضعية تطبيق العقاب لا يمكن أن يكون حياديا، فهذه الوضعية ليست في الحقيقة سوى إظهار لمكبوتاته الانفعالية اتجاه التلميذ.

3-2-2 النظرية المعرفية:

ترى هذه النظرية أن معاقبة الطفل المخطئ تكون بمقاطعة الجماعة له، وحينما يدرك خطئه يعرف أنه أقدم على فعل يتناقض مع قانون الجماعة.

يعتبر هذا النوع من العقاب نموذجا للضمير الأخلاقي، فالعقاب يصدر على الجماعة ككل.

3-2-3 نظرية الغرائز:

ينصح أنصار هذه النظرية المعلمين وغيرهم من المربين، أن في تعاملهم مع الطفل لا بد أن يدركوا أنه مزود بكثير من الأفعال المنعكسة. ويقصد بالفعل المنعكس الفعل الغير اختياري الذي يعبر عنه في أنماط سلوكية مثل: كسر أدوات القسم، مضايقة الزملاء، العراك، خبط اليد على الطاولة وغيرها.

3-3 المقاربة الدينية:

يعتبر المدخل الإسلامي مدخلا مميزا ومتفردا في وسائله وأهدافه، إذ يتميز بالسعة والشمول اللذان لا يخرجان عن وحدة الهدف وهو إعداد فرد صالح، حيث يقوم بتنشئة الطفل من الناحية الجسدية والأخلاقية والعقلية والنفسية والاجتماعية والثقافية.(عياد.م/الخضري.ل 1997 ص 121)

أبو حامد الغزالي: يري الغزالي أن يجب على المربي أن يعرف نوع المرض وسن المريض في حالة تأديب الأطفال وتهذيبهم. لأن المعلم كالطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج لأمات قلوبهم. فالغزالي ضد الإسراع في معاقبة الطفل المخطئ، إذ نادى بإعطائه فرصة ليصلح خطأه بنفسه، حتى يحترم نفسه ويشعر بالنتيجة. في مقابل ذلك مدحه وتشجيعه إذا قام بأعمال تستحق المآزرة.

الشريعة الإسلامية: إن أغراض العقوبة في الشريعة الإسلامية متعددة، لكنها على الرغم من تعددها تصدر عن فكرة لا تختلف فيها الشريعة عن الأنظمة الوضعية.

فلا ينبغي الإسراع في عملية عقاب الطفل قبل معرفة الدوافع الكامنة وراء سلوكه الشاذ، والسعي إلى تفسيرها وتعديلها. فالطفل لا يولد منحرفا أو شاذا، إنما هناك ظروف تدفعه إلى هذا السلوك الغير سوي. (عياد.م/الخضري.ل 1997 ص36)

يمكن رد أغراض العقاب في الإسلام إلى ثلاث:

– **الردع العام:** يقصد به الإنذار عن طريق التهديد لاجتناب الخطأ المرتكب. ومن الخير للمجتمع أن تكون العقوبة شديدة يخشاها الناس، فلا يقدمون على الأفعال الموجهة لها.

لهذا راعت الشريعة الإسلامية هذا الاعتبار، وجعلت تنفيذ العقاب حتى يتحقق الأثر بالفعل في نفوس أفراد المجتمع.

كما أشار فقهاء الشريعة إلى أن العقوبة ضرورة اجتماعية دون إفراط أو تفريط، بهدف تحقيق العدالة الاجتماعية.

– **الردع الخاص:** يعني الإصلاح والتأهيل كغرض للعقاب، ويقتضي تنظيم المعاملة العقابية أثناء فترة سلب الحرية على نحو يضمن تحقيق هذا الغرض.

إن العقاب في التربية الإسلامية يبدأ بالكلمة الطيبة والوعظ، والتي يمكن من خلالها إصلاح حال المتعلم، فان لم ينجح هذا الأسلوب يمكن للمصلح أن يلجأ إلى أسلوب آخر وهو الإخافة والتحذير والعزل، فان فشلت هذه الوسيلة أيضا، يحق له اللجوء إلى العقاب المادي لأجل مصلحة التلميذ ودون المضرة بصحته.

إن التنشئة السليمة لا تبدأ بالعقوبة، إنما هناك فسحة طويلة لغرس العادة الحميدة. فسحة يعمل فيها الحب وتعمل فيها القدوة والنصيحة والرفقة الحازمة، فان لم يفلح هذا كله فلا بأس حينئذ في شيء من الشدة يقوم الكيان ولا يفسده. فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينشئ بناته وأبنائه بالحب الحازم والقدوة والتوجيه، فلا يضرب أحد منهم قط أو يعاقبهم. (عياد.م/الخضري.ل 1997 ص61)

4- أشكال العقاب المدرسي: إن الأصل في العملية التربوية التي يتلقاها التلميذ في المدرسة هي العناية، بالتالي تفهم مشاكل الطفل ومراعاة النقص الذي يخص الجانب الاجتماعي.

حينما نتحدث عن العقاب فإننا نقصد شدته التي تؤثر على شخصية التلميذ. ولقد عرض " ليف غردين" أنواع العقاب كالتالي:

- العقاب المرتبط بالعقوبات الأخلاقية.
- العقاب المرتبط بالتغيير في واجبات الفرد.
- العقاب المرتبط بالتغيير في واجبات الطفل.

وكل نوع من هذه الأنواع ينطوي تحته الأشكال التالية: العقاب المنفذ، العقاب التقليدي، العقاب الارتجالي.

وتنقسم هذه الأنواع بدورها من حيث الأثر إلى:

4-1 العقاب الجسدي: يقصد به العقوبات التي تترك آثارا جسدية وتتمثل في:

- كل أشكال الضرب المبرح والغير مبرح.
- جذب التلميذ بشدة من الشعر أو الأذنين.
- الخبش والعض وضربات الحزام التي تخلف الكدمات والدماء.
- بعض الجروح في التجويف الفمي.
- الحروق بالسيجارة أو بعض الأدوات الحديدية.(غوردين.ل 1994 ص 13)
- الضرب بالعصي على يديه ورجليه.(لوغال.أ 1982 ص 280)

4-2 العقاب النفسي: يقصد به كل العقوبات التي لا تترك آثارا جسدية، لكنها تؤثر على النفس وتترك آلاما وجروحا نفسية. ويتمثل هذا العقاب فيما يلي:

– المطالب المبالغ فيها، أو التي لا تتناسب مع عمر التلميذ كتكليفه بالقيام بعمل يدوي بشروط صارمة.

– الشتم ونعت التلميذ بصفات قبيحة ودميمة بصورة مستمرة.

– التأنيب والتعقيب أمام الزملاء.

– المبالغة في التمييز بين التلاميذ.(غوردين.ل 1994 ص 13)

– عزل التلميذ في خزانة أو في مؤخرة القسم.

– الإهمال واللامبالاة وعدم الإجابة على تساؤلات التلميذ.

– التوبيخ والتحذير المستمر للتلميذ

– الاستهزاء والسخرية من التلاميذ، بالإضافة إلى إذلالهم وتخويفهم والحط من قيمتهم.

5– شروط العقاب:

حتى يؤدي العقاب أهدافه المرجوة، اتفق المربون على جملة من الشروط لا بد أن تتوفر في العقاب:

– أن يأتي مباشرة بعد وقوع الذنب حتى يفهم التلميذ لماذا عوقب.

– أن يكون الألم الناتج عن العقاب أكبر من الشرور الحادثة من ارتكاب الذنب.

– أن ينصب العقاب على أسباب التصرف لا على نتائجه.

– لا بد أن يكون العقاب مناسبا لحجم الفعل المرتكب، إذ هناك من المعلمين من يكون متأثرا بجملة من الظروف سواء أكانت نفسية أو اجتماعية أو تربوية، بالتالي ينفجر في وجه التلميذ صارخا في وجهه مهما كان تصرفه بسيطا.

– من المضر معاقبة التلميذ باستمرار، فالإدانة الدائمة لتصرفاته وتضخيم الخطأ الذي يرتكبه ومعاقبته باستمرار من أسوأ الطرق التي يلجأ إليها المعلم.

– تجنب العقاب العنيف المذل للتلميذ، والعقوبات الصدمية.(رزيق.م 1963 ص 72)

6– آثار العقاب المدرسي على التلميذ:

6–1 الآثار السلبية:

6–1–1 الفشل والرسوب المدرسي: إن العقاب الذي طابعه القسوة مع استعمال ألفاظ ترمي إلى تشويه صورة التلميذ أمام زملائه، ينتج عنه كبت لقدراته وإعاقة للحياة الدراسية. فيصبح

التلميذ يشعر بمرارة وتوتر دائم ونفور من المعلم. بالإضافة إلى عدم القدرة على تحمل منافسة الآخرين، لظهور مشقة كبيرة في أداء الواجبات نظرا للتأثر بموقف المعلم الغير مرغوب فيه.
لذلك يظهر الطفل كسول قلق، وهذا ما يولد له الاكتئاب الطفولي من جراء استحالة مواجهة الحاجيات الدراسية مما يعني الهروب من تأدية الوظائف وإهمالها.
كما يؤدي العقاب المدرسي إلى الفشل في التكيف وعدم الاستقرار، حيث أن بعض الباحثين يرون أن هناك علاقة بين الإخفاق المدرسي والإحباط وانخفاض في الأعمال الدراسية والسلوكات العنيفة، وهذه الاضطرابات قد تتميز بالكذب، السرقة، الهروب والتسرب.
إن الطفل الخائف من الرسوب في الامتحان تتضاعف مخاوفه حين يعرف أن العقاب سيكون من نصيبه سواء من والديه أو مدرسيه، هذا ما يجعله لا يرى ما طرح أو كتب من أسئلة الامتحان، إذ لا يرى سوى كلمات مفككة لا يفهمها. بالتالي فالارتباك واللاتركيز يجعل الأجوبة جوفاء أو الورق بيضاء، وهذا ما يجعل التلميذ دوما فاشلا بسبب تصرفات مدرسيه.(الغريب.ر 1982 ص 244)

6-1-2 التسرب والهروب المدرسي: قد يلجأ التلميذ إلى افتعال آلاف الحجج والوسائل لأجل الهروب من المدرسة وترك التعليم، وذلك بسبب العقاب الصارم والمعاملة السيئة من طرف المعلمين. هنا يكون التلميذ قد مل كل مصادر المعرفة، وسيفر من كل ما يذكره بالدراسة سواء كتاب أو معلم أو حتى رؤية المدرسة.
لعل الهروب في غالب الأحيان يؤدي إلى رداءة أخلاق التلميذ والانحراف، ويصبح عدواني يمتاز بسوء الطبع وقد يصل حتى إلى ارتكاب بعض الجنح.

6-1-3 الخوف ونقص الثقة بالنفس: يعتبر الخوف أثر نفسي نتيجة لوقع تلك المعاملة السيئة وفقدان الثقة في القدرات الذهنية، حيث يشعر التلميذ أن صفة الغباء صارت من نصيبه ولا فائدة من خوض معركة الحياة لأنه فاشل فيها. فكيف ينجح التلميذ وهو فاقد للقدرة على تخزين الخبرات بطريقة ذكية ؟ وكيف تكون الثقة بالنفس وهو دائما خائف من المعلم الذي يقوم باستجوابه فيظهر عليه التلعثم والتردد في الإجابة، ويرافق كل هذا القلق والانفعال بالتالي يصبح التلميذ يحتقر نفسه.

6-1-4 السلوكات العدوانية: إن الطابع القمعي الذي يتخذه المعلم كوسيلة يؤدي بالتلميذ ليصبح أكثر عدوانية، فالعقاب لا يمنح التلميذ انبعاثا داخليا ايجابيا بل سلبيا يتجلى في سلوكات كالفوضى داخل القسم والصراخ في وجه المعلم.

6-2 الآثار الايجابية:

- يمنع العقاب سلوك التلميذ المعاقب مباشرة ويعلم التلاميذ الآخرين، لأنه يقلل من احتمال تقليد أعضاء الفصل الآخرين للأنماط السلوكية.
- إن العقاب المدرسي الواعي والهادف الصادر عن سلطة حازمة يثمر لدى الطلب بكل رضا.
- يلجأ المعلم إلى العقاب كحل أخير، فمهمته في المدرسة تتلخص في إكساب الطفل السلوك عن طريق التشجيع، وتعديل السلوك يجعله أكثر انضباطا وهدوءا.(محمد عبدالباقي.س 2001 ص84)
- يسمح العقاب بتقويم وتعديل سلوك التلميذ وتحسينه، وليس الانتقام منه. انه يحفظ كيانه وكرامته بهدف إبعاده عن الانحراف بالتالي يصبح محترم مطيع لمعلمه.(عضاضة.ا.م 1996 ص 08)
- إن الضرب يثير الخوف المفيد للتلميذ وليس ذلك الخوف الذي يشعره بالإحباط، فهنا الخوف يعدل السلوك.

يرى ابن خلدون أن استعمال العقاب يشمل الجوانب المعنوية والمادية لدى المعلم، فمن الضروري استعماله داخل المدرسة فمثلا كتابة التلميذ للدرس يحمسه كي لا يستهتر في أداء واجباته بالتالي يكون في الحصة القادمة قد قام بواجباته على أحسن وجه.

7- الدراسة الميدانية:

لأجل لمس ظاهرة العقاب المدرسي والتقرب منها أكثر، كانت المدرسة الابتدائية هي السبيل الأساسي لذلك. ونظرا لمعرفتنا المسبقة لمدير إحدى المدارس الابتدائية ببلدية ديدوش مراد بقسنطينة، تقدمنا إليه وعرضنا عليه الهدف من هذه الدراسة فقبل دخولنا إلى المدرسة.

كنا في بادئ الأمر نريد استعمال الاستمارة كطريقة لجمع المعلومات من المعلمين ثم التلاميذ، لكن ضيق الوقت بالإضافة إلى قلة المعلمين الذين استجابوا لدعواتنا حال دون ذلك.

لذلك رجعنا إلى أسلوب المقابلات المباشرة مع المعلمين، ثم المقابلات المباشرة مع مجموعة من التلاميذ كان اختيارهم عشوائيا.

في الأخير قمنا بتحليل هذه المقابلات وتحصلنا على جملة من النتائج سوف نعرضها لاحقا.

7-1 الهدف:

من خلال المقابلات مع المعلمين الذين لبوا دعوة التحاور معنا والذين كان عددهم ثمانية، كنا نسعى إلى الحصول على أكبر قدر من المعلومات تخص الأسلوب التربوي المعتمد داخل القسم، ورأيهم في العقاب المدرسي كوسيلة للتربية، بالإضافة إلى نوع العقاب المستعمل من طرفهم داخل القسم. كما لم نستثني من أسئلتنا ظروف العمل داخل المؤسسات التربوية.

نفس الشيء بالنسبة للتلاميذ الذين اخترناهم عشوائيا في فناء المدرسة وكان عددهم ثمانية، حيث حاورناهم حول:

- الأسلوب التربوي داخل الأسرة. - الظروف المحيطة بالدراسة. - العقاب والمعلم.

7-2 النتائج:

7-2-1 الخاصة بالتلاميذ:

1- معظم التلاميذ إناث تتراوح أعمارهن مابين 08-13 سنة، المستوى التعليمي للأب ابتدائي أو حتى أمي.

2- تقوم الأم بمساعدة أبنائها في أداء الواجبات المدرسية، ويوكل إلى الأب مهمة العقاب الذي يكون على سبيل الضرب، السب والشتم بسبب العلامات المدرسية.

3- يري التلاميذ أن المعلمين يعتمدون على وسيلة الضرب في القسم ولو استدعى الأمر مرتين في حصة واحدة، وذلك بسبب الإهمال والفوضى. أما تكرار الخطأ فانه يدفع بالمعلم إلى سب التلميذ وشتمه ونعته بصفات قبيحة أمام زملائه.

4- ردود فعل التلاميذ في هذه الحالات هي غالبا: الخجل، البكاء والتلعثم حيث يصبح التلميذ يتمنى غياب المعلم لتفادي الضرب والصراخ في وجهه.

5- حسب التلاميذ فان الضرب لا يؤدي إلى تحسن في النتائج المدرسية، إنما يجعلهم يمقتون المعلم والمدرسة ككل.

6- يضيف التلاميذ أنهم في حاجة إلى معلم جيد، بمعنى أب ثان يتفهمهم ويرشدهم، إذ ورد في قولهم:

" إن الخوف من المعلم جعلنا نكرهه ولا نريد مهنة المعلم مستقبلا".

7-2-2 الخاصة بالمعلمين:

1- أغلبية المعلمين تتراوح أعمارهم مابين 28-35 سنة، وهناك من هم أقل من 28 سنة. وعدد الأولاد يتراوح ما بين 01-05 إلى غاية 09 أولاد، ومستواهم التعليمي ثانوي ومنهم الجامعي وحتى المتوسط.

2- مجهودات المعلمين تعرقلها ظروف عمل غير مريحة، محاطة بمشاكل اجتماعية ونفسية تورقهم. بالإضافة إلى تهاون أولياء التلاميذ حيال مستقبل أبنائهم.

3- عدد التلاميذ داخل القسم يصل إلى 35 تلميذ لا يساعد على أداء تربوي جيد يمكن المعلم من التكفل بجميع التلاميذ.

4- حسب المعلمين، النصح والإرشاد هما وسيلتا العقاب بالإضافة إلى حسن المعاملة ومعرفة سبب الخطأ، أما تكرار الخطأ فيؤدي إلى الضرب والتوبيخ حيث أن التلاميذ الغير نجباء أو الضعفاء هم أهل العقاب في كثير من الأحيان.

5- يبقى العقاب ضروري لأنه السبيل إلى الانضباط وتأدية الواجبات وتجنب الفوضى، ومن جهة أخرى يؤدي العقاب إلى كره المدرسة والخوف من المعلم.

من خلال المقابلات مع المعلمين نستخلص:

- تركيز المعلمين على مشاكلهم الخاصة وظروف العمل السيئة، وإتباعهم أسلوب تحاشي الأسئلة الخاصة بأسلوب معاقبة التلميذ.

- هروب المعلمين من تحديد نوع العقاب في كل مرة، واستعمال طابع الكل خلال الإجابات بالتالي تحاشي التفاصيل التي تخص العقاب.

- قلة تكوين بعض المعلمين في الجانب التربوي حيث يجهلون بعض المصطلحات التي هي من أساسيات علوم التربية مثل: الأداء التربوي، التقييم التربوي، العقاب المعنوي، وغيرها...ذ

3-7 الاقتراحات:

استنادا إلى ما سبق ذكره لدينا بعض الاقتراحات تتمثل في:

- تنظيم دورات تكوينية لمعلمي الأطوار الأولى بغية الرفع من مستواهم التكويني، حيث تكون مؤطرة من طرف أساتذة الجامعات المختصين في مجالات علوم التربية.

- الاهتمام بمشاكل معلمي هذه الأطوار والعمل على تحسين ظروفهم المعيشية، والتي قد تجعل من الأداء التربوي جيد أو مقبول.

– تدعيم المدرسة بمختصين في علم النفس العيادي وعلم النفس المدرسي، بالإضافة إلى الأطباء والمساعدين الاجتماعيين الدائمين قصد التكفل بالتلميذ من جميع الجوانب.

– تنظيم مواعيد بين الأخصائيين النفسيين وأولياء التلاميذ تكون إجبارية، بهدف الاطلاع على الظروف المعيشية والعائلية للتلميذ.

– التنسيق بين الطبيب والأخصائي النفسي والمساعد الاجتماعي من أجل الإلمام بجميع الجوانب التي تخص التلميذ.

خاتمة:

لقد جاءت هذه الدراسة الميدانية كي تلقي الضوء على عالم مازال يحظى بنوع من الإهمال في المجتمع الجزائري، ألا وهو عالم الطفولة.

فالطفولة هي لبنة تشكيل الشخصية وأساس تجنب مختلف الأمراض النفسية منها والعقلية في المستقبل، وهذا ما أشاد به فرويد حينما أعتبر الخمس سنوات الأولى من الحياة نواة تكوين الشخصية السوية.

على ضوء المعاينة الميدانية، اتضح أن التلميذ يعاني جملة من الصعوبات التي قد تكون مصدرها العائلة، كما قد يكون مصدرها المدرسة في حد ذاتها.

وقد لاح لنا في الأفق سلبية الأسلوب التربوي المتبع داخل الأسرة الجزائرية، والظروف الغير مواتية للدراسة، بالإضافة إلى أشكال العقاب المتبعة من طرف المعلمين.

هذه الأمور المذكورة غذتها ظروف عمل المعلم ومشاكله الاجتماعية التي أثرت سلبا على مردوده التربوي.

كما استطعنا التقرب من الأسلوب التربوي المعتمد داخل القسم من خلال المقابلات مع المعلمين، إذ اتضحت بعض النقائص في هذا المجال، وقد نرجعها إلى التكوين الأكاديمي للمعلم ومدى حبه وإقباله على مهنة التدريس.

خلاصة القول أننا مازلنا بعيدين إلى حد ما على المستوى الحسن، الذي يسمح لنا بإعطاء الطفل القدر الكاف من الرعاية التربوية والرعاية العاطفية.

فالدراسات النفسية والتربوية في الجزائر أبرزت في العديد من المرات كمية من النقائص، والتي علينا الاهتمام بها كباحثين للنهوض بعالم الطفولة إلى الأفضل.

قائمة المراجع:

1- الأبراشي.م.ع(1996): الاتجاهات الحديثة في التربية، دار إحياء الكتب العربية، بيروت.

2- الغريب.ر (1982): العلاقات الإنسانية في حياة الصغير ومشكلاته، ملتزمة الطبع، بيروت

3- عضاضة.أ.م(1996): التربية العلمية التطبيقية في المدرسة الابتدائية والتكميلية، مؤسسة الشرق الأوسط للطباعة والنشر، ط03 القاهرة.

4- عياد.ا.م/الخضري.ل.م(1997): إرشاد الطفل وتوجيهه في الأسرة ودور الحضانة، منشأة المعارف، الاسكندرية.

5- غوردين.ل(1994): الثواب والعقاب في تربية الطفل، ترجمة غسان نصر دار معد،دمشق.

6- لوغال.أ(1982): التخلف المدرسي، ترجمة أيمن الأعسر،مطبوعات عويدات، بيروت.

7- ليلة.ع(1991):النظرية الاجتماعية المعاصرة، دراسة لعلاقة الإنسان بالمجتمع، دار المعارف، ط 03 القاهرة

8- رزيق.م(1963): كيف نربي أبنائنا وكيف نعالج مشاكلهم؟ دار الفكر،ط01 دمشق، سوريا.

9- Sillamy.n(1991) : Dictionnaire de la psychologie, Larousse, p 216

10- Strausse.p(1990) : La maltraitance qui ?pourquoi ?comment ?, E.D.F Paris